السنة الخامسة والثمانون بعد المئتين

فيها في يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلةً بقيت من المُحرَّم قطع صالحُ بن مُدرِك الطَّائيُّ في جماعةٍ من طَيِّئ على الحاجِّ الطَّريقَ بالأجفُر، فأخذوا من الأموال والمماليك والنِّساء الحرائر ما تبلغ قيمتُه ألفا ألف دينار.

وفي المحرَّم ولَّى المعتضد عَمْرَو بنَ الليث ماوراء جَيْحون، وعزل إسماعيل بنَ أحمد عنها.

وفي صفر قدم برأس أبي ليلى بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، فاستوهبه من المعتضد أخوه عمر، فوهبه له، فدفنه.

وفي ربيع الأول هبَّت بنواحي الكوفة ريحٌ صفراءُ عامَّةَ نهار الأحد لعشرٍ بَقين من ربيع الأوَّل إلى المغرب، ثمَّ استحالت سوداءَ، ومطرت السَّماء عقيب ذلك مطراً شديداً، برُعودٍ هائلة، وبُروق متَّصلة، ثمَّ سكنت، ومُطرت قرية تُعرف بأحمداباذ بحجارة بيض وسُود.

وفي يوم الجمعة لخمسٍ بقين منه هبَّت بالبصرة ريحٌ صفراء، ثمَّ صارت خضراء، ثمَّ سوداء، ثمَّ امتدَّت في الأمصار[1]، ووقع عَقيبها بَرَدٌ وزنُ البَرَدة مئةٌ وخمسون درهماً، وقَلَعت الرِّيحُ من تلك النَّواحي ستَّ مئة نخلة [من نهر معقل مئة، ومن نهر الحسين خمس مئة].

وفي جمادى الأولى توفِّي بكر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بطَبَرِسْتان، فأعطى المعتضدُ مَن جاء بالخبر ألفَ دينار.

وفيها ولَّى المعتضدُ ابنَ أبي السَّاج أَرْمينية وأذْرَبيجان، وكان قد غلب عليها، وبعث إليه بخِلع.

وفيها غزا راغبٌ الخادم مولى الموفَّق الرُّومَ في البحر، فأظفره الله بمراكبَ كثيرة،

(١) في تاريخ الطبري ١٠/ ٦٨ ، والمنتظم ١٢/ ٣٧٨ ، والكامل ٧/ ٤٩٠ : ثم تتابعت الأمطار. والمثبت موافق لما في تاريخ الإسلام ٦/ ٦٥٦ .

ضرب منها ثلاثة آلاف رَقَبة، وأحرق المراكب، وفتح حصوناً كثيرة.

وفي ذي الحجَّة قدم عليُّ بن المعتضد بغدادَ، وكان قد جهَّزه لقتال محمد بن زيد العلويّ ودفعه عن الجبال، فانهزم العلويُّ إلى طَبرِستان، فلمَّا قدم قبَّل أبوه ما بين عينيه بعد أن خرج عُبيد الله وجميع أرباب الدَّولة لاستقباله، وقال له: بعثناك ولداً فرجعت أخاً، فقال: يا أمير المؤمنين، أبقاني الله لِخدْمتك، ولا أبقاني بعدك، وأكرمه، وخلع عليه بحضرته.

[وقال الصُّولي: كان المعتضد قد جهَّز ابنَه عليًّا لقتال محمد بن زيد العلويّ، ودفعه عن الجبال، فانهزم العلويُّ إلى طبرِستان، وعاد المكتفي إلى بغداد، فقبَّل أبوه ما بين عينيه، وقال ما ذكرناه،] وأعطاه ألف ألف دينار.

وفي ذي الحجَّة خرج المعتضد من بغداد يريد آمِد، وخرج معه ابنه أبو محمد، واستخلف ببغداد صالحاً الحاجب، وقلَّده النَّظرَ في المظالم وغيرها.

وكان قد مات أحمد بن عيسى بن شيخ، وقام ابنه محمد بما كان في يد أبيه بآمِد وما يليها على وجه التَّغَلُّب، فقصده المعتضد، وبعث هارون بن خُمارَويه إلى المعتضد بتقرير أمره على مصر، وسأله المقاطعة عليها بمال، فلم يُجبه.

وصلَّى بالنَّاس يوم النَّحر ببغداد عليُّ بن المعتضد، وركب في أحسن زيٍّ كما تركب ولاةُ العهود، وصلَّى بالنَّاس، وخطب، ووقف على المِرْقاة[1] الثانية من أعلاه احتراماً لأبيه، ثمَّ نزل ومضى إلى داره، فوضع سِماطاً عظيماً للنَّاس.

وحجَّ بالنَّاس محمد بن ترنجة.

[فصل]: وفيها توفِّي

إبراهيم بن إسحاق

ابن إبراهيم بن بشير بن عبد الله، [أبو إسحاق المَرْوَزي، الحَرْبي، العالم الفاضل] الزَّاهد العابد الوَرِع.

(١) المِرْقاة: الدَّرَجة. اللسان: (درج).

[وأمُّه من بني تغلب، وذكره الأئمة، وأثنَوا عليه، ومولده سنة ثمان وتسعين ومئة.

وقال الدار قطنيُّ: إبراهيم الحربيُّ إمام فاضل]مصنِّف عالم بكلِّ شيء، بارع في كلِّ علم، صادق صدوق، كان يُقاس بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في فَضله وزهده ووَرَعه وأصلِه، [وله التَّصانيف الحسان.

وقال الخطيب[1]:] كان إماماً في جميع العلوم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، جامعاً للغة، [صنَّف كتباً كثيرة].

قال: [وقال أبو العبَّاس أحمد بن يحيى] ثعلب: ما فَقدتُ إبراهيم الحربيَّ من مجلس نحوٍ أو لغة خمسين سنة.

[قال الخطيب:] وسُئل لِمَ سمِّيتَ الحَربيّ وأنت مروزيّ؟ فقال: صحبتُ قوماً من الكَرْخ في طلب الحديث، فسمَّوني الحربيَّ؛ لأنَّ عندهم أنَّ ما جاوز القنطرة العتيقة من الحربيَّة.

[ذكر طرف من أخباره:]

وقال أحمد بن عبد الله بن خالد: سمعتُ إبراهيم[2] الحربي يقول: أجمع عُقلاءُ كلِّ أمَّةٍ على أنَّه من لم يجرِ مع القَدَر لم يتهنَّأ بعيشه، كان يكون قميصي أنظفَ قميص، وإزاري أوسخ إزار، ما حدَّثتُ نفسي أنَّهما يستويان قطُّ، وكان فَرْدُ عَقِب مَداسي مَقطوعاً، والآخر صحيحاً، وكنت أمشي فيهما، وأدور جانبَي بغداد، ولا أحدِّث نفسي أنني أُصلحهما.

ودامت لي شَقيقةٌ خمساً وأربعين سنة، ما علم بها أحدٌ من أهلي، ولا زوجتي، ولا بناتي، الرجلُ هو الذي يُدخِلُ غَمَّه على نفسه، ولا يَغُمُّ عيالَه.

قال: وأفنيتُ ثلاثين سنة من عُمُري برغيفين، إن جاءتني بهما أمِّي أو أختي أكلتُ، وإلَّا بتُّ جائعاً عطشان إلى الليلة الآتية، وأفنيتُ ثلاثين سنة من عمري برغيف في اليوم والليلة.

---

(١) في تاريخه ٦/ ٥٢٣.

(٢) في (ف) و(م١): وقال الخطيب بإسناده سمعت عن أحمد بن عبد الله بن خالد عن إبراهيم، والمثبت من (خ).

ومرضتْ ابنتي فأقامت أمُّها عندها شهر رمضان، فقام إفطاري في ذلك الشهر بدرهمٍ ودانقين، ودخلتُ منه الحمام، واشتريتُ صابوناً، فقامت نفقةُ رمضان بدرهم[١].

وقال [الخطيب بإسناده عن] أبي عثمان الرَّازي [قال:] جاء رجل[٢] من عند المعتضد إلى إبراهيم الحربيِّ بعشرة آلاف درهم، وقال: يقول لك الخليفة: فرِّقها في جيرانك، فقال للرسول: هذا مالٌ لم نشغلْ نفوسَنا بجمعه، فلا نشغلها بتَفْرقته، فألحَّ عليه، فقال: قل لأمير المؤمنين: إن تركتَنا وإلَّا تحوَّلنا من جوارك.

وقال [الخطيب بإسناده عن أبي القاسم الجبلي [قال:] اعتُلَّ[٣] إبراهيم علَّةً حتَّى أشرف على الموت، فدخلتُ عليه أعودُه، فقال لي: يا أبا القاسم، أنا في أمرٍ عظيم مع ابنتي وهي تسمع، ثمَّ قال: قومي فاخرجي إلى عمِّك، فألقت خِمارها على وجهها وخرجت، فقالت: ياعمُّ، نحن في أمرٍ عظيم، لافي الدنيا ولا في الآخرة، الشَّهرَ والدَّهرَ مالنا طعام إلَّا الكِسَر اليابسة والملح، وربَّما عَدِمنا القوت، وبالأمس وجَّه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها، وبعث إليه فلانٌ وفلانٌ فلم يأخذ شيئاً، وهو مريض، فقال لها إبراهيم: يا بُنيَّة، إنَّما خفتِ الفقر؟ قالت: نعم، قال: انظري إلى تلك الزَّاوية؛ فيها اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب كتبتُها بخطِّي، فإذا متُّ فبيعي كلَّ جزءٍ بدرهم، ومَنْ عنده اثنا عشر ألف درهم فليس بفقير.

[وفي رواية أبي القاسم الجبلي قال:] فلمَّا كان بعد أيَّام جاء رجل في الليل، فطرق الباب على إبراهيم، فقال: مَنْ؟ قال: رجل من إخوانك، فقال: ادخل، فقال: أطفئ السِّراج، فأكفأ عليها الغَضارة[٤]، ودخل الرجل فترك شيئاً وخرج، فكشف السراج وإذا بمنديل فيه حلوى وفاكهة، وفي ظرفه مشدود دنانير، فصاح: يا بُنيَّة يا بُنيَّة، تعالَي فخُذي هذا.

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٥٢٦، والمنتظم ١٢/ ٣٨١-٣٨٢.

(٢) في (خ): وقال أبو عثمان الرازي جاء رجل، والمثبت من (ف) و(م١)، وانظر تاريخ بغداد٦/ ٥٢٨، والمنتظم ١٢/ ٣٨٣.

(٣) في (خ): وقال أبو القاسم الجبلي اعتل، والمثبت من (ف) و(م١)، وانظر تاريخ بغداد ٦/ ٥٢٨-٥٢٩، والمنتظم ١٢/ ٣٨٣.

(٤) طين لزج، أو تراب طيني دقيق الذرات.

[وقال أبو القاسم أيضاً:] فلمَّا كان بعد أيَّام قدم الحاجُّ من خُراسان، وإذا بجمَّال يقود جَملين وهو يقول: أين دار إبراهيم الحربيّ؟ [فدُلَّ عليه] وصادف الحربيَّ جالساً على الباب، فقال: أنت إبراهيم الحَربيّ؟ قال: نعم، قال: خذ هذين الجملين بما عليهما، قال: وما عليهما؟ قال: كاغَد وإبرَيسَم، فقال: من أين هذا؟ قال: من رجلٍ خُراساني، بعث بهما إليك، واستحلفني أن لا أقول من هو.

و[قال الخطيب بإسناده عن أبي القاسم الجبلي قال:] كان لإبراهيم ولد بلغ أحد عشر سنة علَّمه القرآن، والفقه، وأسمعه الحديث، فتوفِّي، فحزن عليه الجيران ولم يحزن عليه إبراهيم، فقيل له في ذلك فقال: كنتُ أشتهي موتَه، قيل له: مثلك يقول هذا؟! قال: نعم، رأيتُ [في المنام] كأنَّ القيامة قد قامت، والنَّاسُ في شدَّة من العَطَش، ورأيتُ صبياناً بأيديهم قِلالٌ فيها ماء، وهم يَسقون النَّاس، فقلت لبعضهم: اسقني، فنظر في وجهي وقال: لستَ أبي، فقلت: ومَن أنتم؟ قالوا: نحن الصِّبيان الذين متنا في الدُّنيا وخلَّفْنا آباءنا، نستقبلُهم فنَسقيهم الماء، فلهذا تمنَّيت موته.

[وقال الخطيب:] كان إبراهيم مع فضله وزهده وورعه حسنَ الأخلاق، متواضعاً، ضاحكَ السّنِّ، وكان له حَلْقة بجامع المنصور يقرأ فيها الحديثَ، وكان يحضرها مع النَّاس حَدَثان، فأقاما على ذلك مدَّة، ثمَّ انقطع أحدهما وبقي الآخر، فكان الذي انقطع يأتي فيقف ظاهرَ الحلقة، والآخر جالس فيها، فبقي على ذلك مدَّة، فلمَّا كان في بعض الجُمَع رمى ذلك الواقف رُقعة، فأخذها إبراهيم فقرأها، وإذا فيها [هذه الأبيات]: [من الطويل]

عفا الله عن عبدٍ أعانَ بدعوةٍ ... خليلَين كانا دائمَيْن على الودِّ
إلى أن وَشَى واشي الهوى بنَميمةٍ ... إلى ذاك من هذا فحالا عن العَهْدِ[1]

فرفع إبراهيم يديه وقال: اللَّهمَّ اجمع بينهما على طاعتك وفيما يقرِّبهما إليك، وأمَّن الحاضرون، فلمَّا جاءت الجمعة الأخرى إذا بالغلامين قد جاءا فجلسا مكانهما، فعجب الحاضرون.

(١) انظر مروج الذهب ٨/ ١٨٤- ١٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٦٤-٣٦٦.

وقال إبراهيم لجماعةٍ عنده: مَنْ تعدُّون الغريبَ في زمانكم؟ فقال بعضهم: مَن نأى عن وطنه، وقال آخر: مَن فارق أحبابَه، وقال كلٌّ واحد شيئاً، فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجلٌ صالحٌ يعيش بين قومٍ صالحين، إن أمر بالمعروف آزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى سببٍ من الدُّنيا مانوه، ثمَّ ماتوا وتركوه.

[وحكى الخطيب قال:] جاءه يوماً رجل ومعه أولادُه، فقال له إبراهيم: احذر، لا يرونَك حيث نهاك الله، فتسقط من أعينهم.

وقال محمد بن عبد الملك[1] الكاتب: كنتُ عند أبي العبَّاس المبرِّد، فأنشد يقول: [من البسيط]

جسمي معي غير أنَّ الرُّوح[2] عندكمُ ... فالجسمُ في غُربةٍ والرُّوح في وَطنِ
فلْيَعْجب النَّاسُ منِّي أنَّ لي بَدَناً ... لا روحَ فيه ولي روحٌ بلا بَدَنِ

قال: ومضيتُ إلى ثعلب فأنشد: [من السريع]

غابوا فصار الجسمُ من بعدهمْ ... لا تَنظرُ العينُ له فيَّا
يا خَجْلَتي منهم ومن قولهمْ ... إذا رأوني بعدهمْ حيّا[3]

فأتيتُ إبراهيم فأخبرتُه، فقال: ألا أنشدتَهما: [من الخفيف]

يا حَيائي ممَّن أحبُّ إذا ما ... قيل بعد الفِراق إني حَييتُ

ذكر وفاته:

[حكى الخطيب عن] عيسى بن محمد الطُّوماري قال: دخلْنا على إبراهيم في مرضه نعودُه وقد حَملت الجاريةُ ماءَه إلى الطبيب، فعادت بالماء وقالت: مات الطبيب، فبكى إبراهيم وقال: [من الوافر]

إذا مات المُعالِجُ من سَقامٍ ... فيوشكُ للمُعالَج أن يموتا

---

(١) في تاريخ بغداد ٦/ ٥٣٥ ، والمنتظم١٢/ ٣٨٤ : محمد بن عبد الله.

(٢) في (خ): القلب، والمثبت من (م١)، والمصادر.

(٣) في تاريخ بغداد ٦/ ٥٣٥ ، والمنتظم ١٢/ ٣٨٤ :

بأي وجه أتلقاهم ... إذا رأوني بعدهم حيا
يا خجلتي منهم ومن قولهم ... ما ضرك الفقد لناشيا

ودخلنا عليه مرَّةً أخرى فقلنا: كيف تجدك؟ فقال: [من الخفيف]

دبَّ فـيَّ الـبَـلاءُ سُـفْـلاً وعُـلْـواً وأرانـي أمـوتُ عُـضْـواً فـعُـضـواً
ذهـبـتْ جِـدَّتـي بـطـاعـةِ نـفـسـي وتـذكَّـرتُ طـاعـةَ الله نِـضْـوا

وكانت وفاتُه يوم الاثنين لسبعٍ بقين من ذي الحجَّة، وصلَّى عليه يوسف بن يعقوب القاضي، وكان يوماً مَشهوداً، ودُفن بداره بباب الأنبار غربيّ مدينة المنصور، وقبرُه ظاهر يزار، وعليه قُبَّةٌ يقال لها: قُبَّة الحَربيّ، وإلى جانبه قبران يقال إنَّهما ابنتاه.

وذكر الخطيب له ابنةً واحدة اسمُها أمُّ عيسى[1]، وكانت فاضلة، إذا جاءت فتوى وإبراهيمُ غائب تُفتي عنه، وتوفِّيت في رجب سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة وكانت صالحة[، وقيل: إنَّ أحد القبرين لها والآخر لولده.]

أسند إبراهيم عن خلقٍ كثير لا يُحصَون كثرةً؛ منهم الإمام أحمد رحمه الله، والفَضْل ابن دُكَين، وعفَّان بن مسلم وغيرهم، وروى عنه جمٌّ غفير؛ منهم عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله، وابن الأنباري، وابن صاعد وغيرهم.

وقال محمد بن صالح الأنماطيّ: ما أخرجت بغدادُ مثل إبراهيم الحربيّ في الفقه، والحديث، والأدب، والعربية، والزهد، والورع[2].

قال المصنِّف رحمه الله: وقول إبراهيم الحربيّ: إذا مات المعالج من سقام ... البيت؛ قد جرى **لإسماعيل بن أبي هاشم الدمشقيّ** مثل هذا، [فذكر الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» عن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سَلامة الطَّحاوي قال:] كان لإسماعيل بن أبي هاشم طبيبٌ يقال له: النُّعمان، فمرض إسماعيل، ومرض الطبيب، فسأل عنه فقيل: مات، فقال إسماعيل: [من السريع]

قـد قـلـتُ لـمَّـا قـال لـي قـائـلٌ قـد صـار نُـعـمـانُ إلـى رَمْـسـهِ
وأيـن مـا يُـوصَـف مـن حِـذْقـه وعـلـمِـه بـالـطِّـب مـع جَـسِّـهِ
هـيـهـات لا يَـدفـع عـن غـيـرهِ مَـن كـان لا يَـدفَـعُ عـن نـفـسـهِ

(١) في (ف) و(م١): ولم يذكر الخطيب سوى ابنة واحدة قال واسمها أم عيسى، والمثبت من (خ)، وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ٦٣١.

(٢) انظر في ترجمته تاريخ بغداد ٦/ ٥٢٢، والمنتظم ١٢/ ٣٧٩، والسير ١٣/ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٠٣.

[وهذا إسماعيل كان فاضلاً من الفضلاء، قال ابن الطحَّان أيضاً:]

قال إسماعيل: قرأتُ بدمشق على قصرٍ لبني أميَّة: [من الخفيف]

ليت شِعري ما حالُ أهلِكَ يا قَصْـ ـرُ وأين الذين عَلَّوا بِناكا
ما لأربابِكَ الجبابرةِ الأمْـ ـلاك شادوك ثمَّ حَلَّوا سِواكا
ألزُهدٍ يا قصرُ فيك تحامَو كَ ألا تُبْتَنَى ولستَ هُناكا
ليتَ شِعري وليتني كنتُ أدري ما دَهاهم يا قصرُ ثمَّ دَهاكا
ليت أنَّ الزَّمان خَلَّف منهم واحداً مُخْبِراً فأعلم ذاكا

وتحته مكتوب: [من الخفيف]

أيُّها السَّائلُ المُفَكِّرُ فيهم ما إلى ذا السُّؤالِ قل لي دَعاكا
أَوَ ما تَعرفُ المَنونَ إذا حلَّتْ دِياراً فلن تُراعي هَلاكا
إنَّ في نفسِك الضَّعيفَةِ شُغلاً فاعتبرْ وامْشِ فالمنونُ وَراكا

[وقال ابن الطحان: وحدَّثني] إسماعيل قال: قرأتُ على قصرٍ لعبد العزيز بن مروان بحُلْوان؛ مكاناً بمصر: [من الخفيف]

أين ربُّ القَصْرِ الذي شَيَّد القَصْرَ وأين العَبيدُ والأَجْنادُ
أين تلك الجموعُ والأمرُ والنَّهـ ـيُ وأعوانُهم وأين السَّوادُ
أين عبدُ العزيز أم أين مروا نُ وأين الحُماةُ والأولادُ
مالنا لا نُحِسُّهم ونراهم أترى ما الذي دَهاهم فبادوا

وتحته مكتوبٌ جواباً عنهم: [من الخفيف]

أيُّها السَّائلُ المفكِّرُ عنهم كيف بادَتْ جُموعُهم والجيادُ
أين كسرى وتُبَّعٌ قبلَ مروا نَ ومِن قبل تُبَّعٍ شَدَّادُ
أين نُمروذُ أين فرعونُ موسى أين مِن قبلهم ثَمودُ وعادُ
كلُّهم في التُّراب أضحى رَهيناً حين لم تُغْنِ عنهم الأجنادُ
إنَّ في الموتِ يا أخي لك شُغْلاً عن سواه والمَوْقِفُ الميعادُ[1]

(١) الروض المعطار ١٩٦، ٢٤٢.

أحمد بنُ عيسى بن الشَّيخ

صاحب آمِد وديار بكر، ولَّاه إيَّاها المعتز، فلما قُتل استولى عليها، ومات في هذه السنة، فوليها ولدُه محمد، فسار إليها المعتضد فأخذها بعد ذلك، لما يذكر[١].

[فصل وفيها توفِّي]

النَّاقِد

واسمه زكريا بن يحيى بن عبد الملك بن مروان بن عبد الله، أبو يحيى، البغداديّ[٢]، الزَّاهد، العابد.

قال [الخطيب بإسناده عن] محمد بن جعفر [بن سالم:] لو قيل لأبي يحيى: إنَّك تموت غداً؛ لما ازداد في عمله.

وقال الخطيب بإسناده: حدثنا أبو زُرعة الطبريُّ، قال: حدثنا أبو يحيى قال: اشتريتُ[٣] من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلمَّا كان آخر ختمة سمعت خِطابَ الحوراء من الهواء وهي تقول: وفيَّتَ بعهدك، فها أنا لك، وأنا التي اشتريتَني، فيقال: إنَّه مات عقيبَ فراغه من الختمة الأخيرة بقريب.

وكان الإمام أحمدُ رحمة الله عليه يُثني عليه، ويقول: النَّاقد رجلٌ صالح. ونِعْم الرجل.

وكانت وفاته ليلة الجمعة لثمانٍ بقين من ربيع الآخر، ودُفن ببغداد.

أسند عن خلقٍ كثير، منهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيرهُ، وروى عنه أبو بكر الخلَّال وغيرُه، واتفقوا عليه، وهو أحد العُبَّاد المجتهدين، والأثبات المحدِّثين.

وقال الدَّارقطني: الناقد الثِّقة الفاضل[٤].

---

(١) الكامل ٧/ ٤٩١ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٨٨ .

(٢) في (خ): ابن مروان بن محمد الدربندي البغدادي. والمثبت من (ف) و(م١)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٩/ ٤٧٧، وانظر المنتظم ١٢/ ٣٨٦ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٥٢ .

(٣) في (خ): وقال أبو زكريا : اشتريت، والمثبت من (ف) و(م١).

(٤) سؤالات الحاكم ص١١٧.

[وفيها توفي]

المُبَـــرِّد

[واسمه] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عُمير بن حسان بن سُليم بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحسن بن عامر[١] بن عبد الله بن بلال بن عوف، وعَوف هو ثُمالة بن أسلم، قبيلة من الأزد بن الغَوْث، أبو العبَّاس، النَّحويُّ، البصريُّ، الأزديُّ، الثُّماليُّ، إمام أهل النَّحو واللُّغة والعربية بالبصرة.

ولد سنة ستٍّ ومئتين، وقيل: سنة عشر ومئتين، وسُئل: لِم سمِّيت المبرِّد؟ فقال: طَلَبني عاملُ البصرة، فخِفت منه، فدخلت على أبي حاتم السِّجِسْتاني، فجاء رسولُ العامل يَطلبني، فقال أبو حاتم: ليس هو عندي، وجعل يصفِّق ويقول: المبرِّد المبرِّد، وتسامع الناس بذلك فلَهَجوا به، والمُزَمَّلَة يُبرَّد فيها الماء[٢].

قدم بغداد وأقام بها، ولقي الأئمةَ، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه، وكان حسنَ المحاضرة، مَليحَ الأخبار، كثيرَ النَّوادر.

وقال أبو عبد الله بن المفجَّع: كان المبرِّد لعِظم حِفْظِه اللغة، واتِّساعه فيها يُتَّهم بالكذب، فتواضعنا على مسألةٍ لا أصل لها، فأرسلنا إليه فجاء، فقلنا له: أيَّدك الله، ما القِبَعْضُ؟ فقال على البديهة: القُطن، وأنشد [من الوافر]:

كـأنَّ سـنـامـهـا حُـشِـيَ الـقِـبَـعْـضـا[٣]

فعجبنا وقلنا: إن كان صَحيحاً فهو عَجب، وإن كان اختلقَ الجواب فهو أعجب.

[وحكى الخطيب[٤]عن] المازني قال: قلت للمبرد: [يا أبا العباس]، بَلَغني أنَّك تَنصرف من مجلسنا فتصير إلى المارستان، فتجلس إلى المجانين، فقال: نعم، إنَّ لهم طرائفَ من الكلام، وعجائب من الأقسام، فقلتُ له: أخبرني بأعجب ما رأيت منهم، فقال: دخلتُ يوماً عليهم، فرأيتُ أحوالَهم في العلاج مُختلفة على مقدار بليَّتهم،

(١) في تاريخ بغداد ٤/ ٦٠٣، وتاريخ دمشق ٦٥/ ٢٦١: ابن الحارث بن عامر...

(٢) في المنتظم ١٢/ ٣٨٩: فجاء رسول العامل يطلبني فقال لي أبو حاتم: ادخل في هذا، يعني غلاف المزملة فارغ، فدخلت فيه وغطى رأسه ثم خرج إلى الرسول فقال: ليس هو عندي...

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٦٠٤، ونزهة الألباء ص٢٣٠، ومعجم الأدباء ١٩/ ١١٣.

(٤) في تاريخه ٤/ ٦٠٧-٦٠٩. وما بين معكوفين من (م١).

فبعضهم قيام، وبعضهم نيام، وبعضهم قعود، ومررت بشيخٍ منهم وقد دَهَن رأسَه، والدُّهنُ يَبرق من صَلْعته، وهو جالس مُستقبل القبلة كأنَّه يصلِّي، وتحته حصيرٌ نظيف، فلم أسلِّم عليه، فقال: وأين السلام؟ أترى مَن المجنون أنا أو أنت؟ قال: فاستحييتُ منه، وقلت: سلام عليك، فقال: لو كنت ابتدأتَ بالسَّلام لأوجبتَ علينا حُسْنَ الرَّدّ عليك، ولكنَّا نصرفُ سوءَ أدبك إلى أحسنِ جهاته من العُذْر؛ لأنَّه يقال: للدَّاخل على القوم دَهْشَة، اجلس أعزَّك الله، وأومأ إلى مَوضعٍ من حصيرٍ يَنفُضه كأنَّه يوسِّع لي، فناداني صاحبي: إيَّاك، فأحجمتُ، ووقفتُ ناحيةً، وكان معي مِحْبرة، فقال الشيخ: أرى آلة أحد رجلين: إمَّا أن تكون تجالس أصحاب الحديث الأغثاء[1]، أم أصحاب النحو الأدباء؟! فقلت: الأدباء، قال: أتعرف أبا عثمان المازنيَّ؟ قلت: نعم، قال: أتعرف الذي يقول فيه: [من مجزوء الرمل]

وفتًى من مازنٍ ... ساد أهل البَصْرَه
أمُّه مَعروفةٌ ... وأبوهُ نَكِرَهْ

فقلت: لا، فقال: أتعرف غُلاماً قد نبغ في هذا العصر له حفظٌ وذهنٌ، قد برز في النَّحو وجلس مجلسَه؟ قلت: نعم، أنا عينُ الخبير به، قال: فهل أنشدك شيئاً من عبثِ[2] شعره؟ قلت: لا أحسبه يقول الشعر، قال: ياسبحان الله، أليس هو القائل: [من مجزوء الرمل]

حبَّذا ماءُ العناقيـ ... ـد بريقِ الغانياتِ
بهما ينبتُ لحمي ... ودمي أيَّ نباتِ

قلت: قد سمعتُه ينشد هذا في مجلس أُنسه، فقال: وهل يُستحى أن ينشد مثل هذا حول الكعبة؟! ثمَّ قال: ما سمعتَ النَّاس يقولون في نسبه؟ قلت: يقولون هو من ثُمالة، قال: أفتعرف القائل: [من الوافر]

سألْنا عن ثُمالةَ كلَّ حيٍّ ... فقال القائلون ومَن ثُمالَهْ
فقلتُ محمدُ بن يزيد منهم ... فقالوا زِدْتنا بهم جَهَاله
فقال لي المبرِّدُ خَلِّ قومي ... فقَومي مَعْشَرٌ فيهم نَذَالَهْ

(١) في (خ): الأعشا، وفي مطبوع تاريخ بغداد: الأغثاث، والمثبت من تاريخ دمشق ٦٥/ ٢٧٥.
(٢) في (ف): غيب، وفي تاريخ بغداد: غثيثات، وفي تاريخ دمشق: عبثات.

فقلت: نعم أعرفها، لعبد الصمد بن المُعَذّل يهجوه، فقال لي: يا هذا، قد غلبتَ بخفَّة روحك على قلبي، وأعجبني استحسانُك لما أتيتَ به، فما الكُنية؟ قلت: أبو العبَّاس، قال: فالاسم؟ قلت: محمد، قال: ابن مَن؟ قلت: ابن يزيد، فقال: ما أحوجَني إلى الاعتذار إليك ممَّا قدَّمْتُ ذكره، ثمَّ وثب باسطاً يدَه ليُصافحني، فإذا القَيْدُ في رجله قد شُدَّ إلى خَشَبةٍ في الأرض، فأَمِنْتُ عند ذلك غائلتَه، فقال لي: يا أبا العبَّاس، صُنْ نفسَك عن الدُّخول إلى هذه المواضع؛ فليس يتهيَّأ لك في كلِّ وقتٍ أن تُصادف مثلي على هذه الحالة، ثمَّ انقلبت عيناه، وتغيَّر حالُه، وجعل يصفِّق ويقول: المبرِّد المبرِّد، فبادَرْتُ مُسرعاً خوفاً أن تَبْدُرَ منه بادِرة، وقَبلْتُ قولَه، فلم أدخل بعدها دار المرضى.

وقال المبرِّد: دخلتُ مرَّةً دارَ المرضى، فناداني شابٌّ مقيَّد: يا ابن يزيد، فقلت: لبَّيك، فقال: أتعرف بني فلان؟ وأشار إلى حيٍّ من أحياء العرب، فقلت: نعم، فقال: هم الذين حيَّروني وأحَلُّوني هذا المحلَّ، قلت: فما الذي فعلوا؟ قال: [من السريع]

زَمُّوا المطايا واستقلُّوا ضُحًى ... ولم يُبالوا قَلْبَ مَن تَيَّموا
ما ضرَّهم واللهُ يَرْعَاهُمُ ... لو وَدَّعوا بالطَّرْفِ أوسَلَّموا
سألتُهم تسليمةً منهم ... عليَّ إذ بانوا فما سلَّموا
واستَحْسَنوا ظُلمي فمِن أجلهم ... يُحبُّ قلبي كلَّ مَن يَظْلِمُ
مازلتُ أَذْري الدَّمعَ في إثْرهم ... حتَّى جَرى من بعد دمعي دمُ
ما أنصفوني يومَ بانوا ولم ... يَرْعَوا أماناتي ولم يرحموا
ودَّعتهم من حيث لم يعلموا ... ورُحتُ والقلبُ بهم مُغْرَمُ[1]

ثمَّ صاح صيحة خرجت نفسُه معها.

وقال المبرِّد: خرجْتُ ومعي جماعة من أصحابي نحو الرقَّة، وإذا بدَيْرٍ كبير، فقال بعض أصحابنا: مِلْ بنا إليه لننظرَ مَن فيه، ونحمدَ الله على ما رَزقنا من السَّلامة،

(١) ذكر ابن حبيب في عقلاء المجانين ١٤٣، والسراج في مصارع العشاق ١/ ١٦٣ البيتَ الأول والثاني والخامس والسادس عن أبي الحسن المؤدِّب، وذكر أيضاً في عقلاء المجانين ١٤٨، ومصارع العشاق ١/ ٤٩ البيت الثالث والرابع والسابع عن سهلان القاضي باختلاف في ألفاظها.

فدخلنا، وإذا بمجانين يتقلَّبون في أقذارهم، وبينهم شابٌّ نَظيف، عليه ثياب نقيَّة، وهو مَشدودٌ بسِلْسِلة إلى سارية، فلمَّا رآنا قال: مَرْحباً بالوَفْد، حيَّاكم الله بالتَّحية، وقرَّب ما نأى من داركم، وجمع الله شَمْلَكم، بأبي أنتم من أين؟ فقلتُ: وأنت، فأمتع الله الخاصَّة والعامَّة بقُربك، وآنَسَ جماعةَ ذوي المروءة بشَخْصك، وجعلَنا فداك، نحن من العراق، فقال: أحسن الله عن جَميل القول جزاءكم، وتولَّى عنِّي مكافأتكم، بأبي العراقُ وأهلهُ، فقلنا: ما تصنع بهذا المكان الذي غيرُه أَلْيَقُ بك؟[1] فأنشد: [من السريع]

اللهُ يَعلَم أنَّني كَمِدُ ... لا أستطيعُ أبثُّ ما أَجِدُ
روحان لي رُوحٌ تضمَّنها ... بَلَدٌ وأُخرى حازَها بَلَدُ
وأرى المُقِيمةَ ليس يَنْفَعها ... صَبْرٌ ولا يَقوى لها جَلَدُ
وأظنُّ غائبتي كشاهدتي ... بمكانِها تَجِدُ الذي أَجِدُ

وبكى وبَكَينا، فقلنا له: زِدْنا، فقال: [من المنسرح]

إنْ وَصَفوني فناحِلُ الجَسَدِ ... أو فتَّشوني فكَمِدُ الكَبِدِ
أضعفَ جسمي وزاد في سَقَمي ... أنْ لستُ أشكو الهوى إلى أحَدِ
كأنَّ قلبي إذا ذكرتُهُم ... فَريْسَةٌ بين مِخْلَبَي أسَدِ
ما أَقْتَلَ البَيْنَ للنُّفوس وما ... أوْجَعَ قلبَ المحبِّ بالكَمَدِ

فقلت له: والله إنَّك لظريفٌ فزِدْنا، فأنشد: [من البسيط]

شَوقٌ وبَيْنٌ وتوديعٌ ومُرتَحَلٌ ... أيُّ العيون على ذا ليس تَنْهَمِلُ
والله ما جَلَدي من بَعدِهم جَلَدٌ ... ولا اختِزانُ دُموعي بعدَهم بَخَلُ
بلى وحُرْمَةِ ما خلَّفنَ من رَمَقي ... قلبي إليهنَّ مُشتاقٌ ومُختَبَلُ
وَدِدْتُ أنَّ البحارَ السَّبعَ لي مَدَدٌ ... وأنَّ جسمي عيونٌ كلُّها هَمَلُ
وأنَّ لي بَدلاً من كلِّ جارحة ... في كلِّ جارحة يوم النَّوى مُقَلُ
لا دَرَّ درُّ النَّوى لو صادَفَتْ جَبَلاً ... لانهدَّ منها وَشيكاً ذلك الجَبلُ

(١) ذكر هذه القصة بنحوها عن المبرد ابن عساكر في تاريخه ٦٥/ ٢٦٣، وذكرها في عقلاء المجانين ص١٤٧، ومصارع العشاق ١/ ١٩، وذم الهوى ٥٣٤-٥٣٥ عن عبد الله بن عبد العزيز السامري.

لما أناخوا قُبيلَ الصُّبح عِيْسَهمُ ورَحَّلوها وثارَتْ بالهوى الإبِلُ
وأبرزَتْ من خلال السِّجْفِ[1] ناظرَهَا ترنو إليَّ ودمعُ العَين مُنْهَمِلُ
وودَّعت بِبَنَان عَقْدُها عَنَمٌ[2] ناديتُ لا حَمَلَتْ رِجلاك يا جَمَلُ
وَيْلي من البَيْن ماذا حلَّ بي وبهم من نازِلِ البَين حان البَيْنُ وارتَحلُوا
يا سائقَ العِيْسِ قِفْ كيما أودِّعَهم يا زاجِرَ العِيْسِ في تَرْحَالكَ الأَجَلُ
إنِّي على العَهْد لم أَنْقُض مودَّتَهم فلَيتَ شِعري وطال العَهْدُ ما فعلوا

ثمَّ قال: يا سيِّدي، مافعلوا؟ [فقال من البعض الذين كانوا معي، وفي رواية] فقلنا ونحن نُمازحه: ماتوا، فقال: هيه بالله ماتوا؟ قلنا: نعم، فقال: وأنا أموت، قلنا: إن شئتَ، وظَننَّاه مازِحاً، فتمطَّى، واستند إلى السَّارية التي كان مَشدوداً إليها، وجَذَب نَفْسه، فانْدَلَع لسانُه ومات، فما بَرِحْنا حتَّى وارِيناه، ونَدِمْنا على ما فعلنا وبكينا، ولم نزل [باكين] متحسِّرين [نادمين] على ما بدا منَّا.

وحكى المبرِّد، عن [ابن] أبي كامل، [عن] إسحاق بن إبراهيم، عن رجاء بن عمرو النَّخَعي قال: كان بالكوفة[3] فتًى جميلُ الوجه، شديدُ التَّعبُّد والاجتهاد، وكان أحدَ الزُّهَّاد، فنزل في جِوارِ قومٍ من النَّخَع، فنظر إلى جاريةٍ منهنَّ جميلةٍ، فهويها، وهام بها عقلُه، ونزل بها مثلُ الذي نزل به، فأرسلَ يَخطُبها من أبيها، فأخبره أبوها أنَّها مسمَّاةٌ على ابن عمٍّ لها، فلمَّا اشتدَّ عليهما ما يُقاسيان من ألَم الهوى أرسلت إليه الجارية: قد بلغَني شدَّةُ محبَّتكَ لي، وقد اشتدَّ بلائي بكَ، فإن شئت زُرني، وإن شئتَ زرتُك، فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الحالتين، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأنعام: ١٥] فأبلغها الرسولُ ما قال، فقالت: أُراه زاهداً يخاف الله، والله ما

(١) السَّجف: الستر. اللسان: (سجف).

(٢) في (خ): وودعت ببيان زانها حفرا(؟!)، وفي (ف) و(م١): وطاش عقلي من خوف الفراق لهم، والمثبت من مصارع العشاق١/ ٢٠، وذم الهوى ٥٣٧، وانظر عقلاء المجانين ١٤٧، ومروج الذهب ٧/ ٢٠١، وتاريخ دمشق ٦٥/ ٢٦٤.

(٣) في (ف) و(م١): وحكى الخرائطي عن المبرد حكاية، فقال الخرائطي: حدثنا المبرد بإسناده عن رجاء بن عمرو النخعي قال: كان لي بالكوفة. والمثبت من (خ)، وما بين معكوفين من اعتلال القلوب للخرائطي ٧٨-٧٩، والتوابين ٢٧١ للموفق بن قدامة، رحم الله الجميع.

أحدٌ أحقَّ بهذا من أحد، وإنَّ العِباد فيه لَمشتركون، ثمَّ انخلعت من الدُّنيا ولبست المُسُوح، وجعلت تتعبَّد، وهي مع ذلك تذوب وتَنْحَلُ حُبًّا للفتى، وأسَفاً عليه، حتَّى ماتت شوقاً إليه.

فكان الفتى يأتي قَبْرها فيبكي عنده، فرآها في منامه في أحسن مَنْظَر، فقال لها: كيف أنتِ، وما الذي لَقيتِ بعدي؟ فقالت:

نِعم المحبَّةُ يا حبيبي حُبُّكم حبٌّ يقودُ إلى خيرٍ وإحسانِ

فقال لها: إلى ما صِرتِ؟ فقالت: [من البسيط]

إلى نَعيمٍ وعَيْشٍ لازَوالَ لهُ في جنَّة الخُلْدِ مُلْكٌ ليس بالفاني

فقال لها: اذكُريني هناك فإنِّي لستُ أنساكِ، فقالت: وأنا والله لا أنساك، ولقد سألتُ الله قربكَ فأعنِّي على ذلك بالاجتهاد، ثمَّ ولَّت مُدْبرة، فقال لها الفتى: فمتى ألقاكِ [أو أراكِ]؟ فقالت: ستأتينا عن قريب، فلم يعش الفتى بعد الرُّؤيا إلَّا سبع ليالٍ حتَّى مات، فدُفن إلى جانبها.

وللمبرد المصنَّفاتُ الحِسان؛ منها «الكامل»، وكتاب «الروضة»، وغير ذلك.

[ذكر وفاته:

قال الخطيب:] توفِّي [المبرِّد] ببغداد [في هذه السَّنة]، ودُفن بمقابر باب الكوفة [من الجانب] الغربيِّ من مدينة أبي جعفر، وعمرُه تسعٌ وسبعون سنة.

وروى عن المازنيِّ وغيره، وروى عنه إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة نِفْطَويه، وخلقٌ كثير، وكان صدوقاً [ثقةً] ثَبتاً.

[قال ابن عساكر:] ومن رواياته عن الإمام مالك بن أنس [الفقيه] رحمة الله عليه أنَّه قال: إنَّ لهؤلاء الشُّطَّار مَلاحة، كان أحدهم يصلِّي خلف إنسان فأُرتج عليه، فجعل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يردِّدها، فصاح به الشَّاطر: الشيطان ماله ذَنْب، أنت ما تحسن تقرأ[1].

(١) تاريخ دمشق ٦٥/ ٢٦٢، ومن هنا إلى بداية السنة التالية ليس في (ف) و(م١).

وكان بين المبرِّد وثعلب مفارقة، فقال حين مات المبرِّد: [من الكامل]

مات المبرِّد وانقضت أيَّامُه ... وليذهَبنَّ مع المبرِّد ثعلبُ
بيتٌ من الآداب أصبح نِصفُه ... خَرِباً وباقي نصفِه فسيخربُ
فابكوا لما سَلَب الزَّمان ووطِّنوا ... للدَّهر أنفُسكم على ما يسلبُ
غاب المبرِّد حيث لا تَرجونه ... أبداً ومَن يرجونه سيُغَيَّبُ
شملتْكمُ أيدي الرَّدى بمصيبةٍ ... وتوعَّدت بمصيبة تترقَّبُ
فتزوَّدوا من ثَعلبٍ فبكأس ما ... شَرِب المبرِّدُ عن قليل يَشربُ
وأرى لكم أن تكتبوا ألفاظَه ... إن كانت الألفاظُ ممَّا يُكتَبُ
فلْيَلْحَقنَّ بما مضى مُستخلفٌ ... من بعده وليذهبنَّ ونَذهبُ[1]

وقيل: إنَّ الشِّعر للحسن بن علي المعروف بابن العلَّاف، قلت: وهو الظَّاهر[2].

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٦١١، وتاريخ دمشق ٦٥/ ٢٨٣، والمنتظم ١٢/ ٣٩٠.

(٢) وكذا أوردها ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٩/ ١٢٠، وابن خلِّكان في وفيات الأعيان ٤/ ٣١٩، ونسباها لابن العلاف، قالها في رثاء المبرِّد وثعلب.